‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)

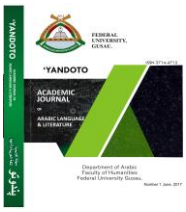

زكريا حسين في ميدان الأدب

إعداد:

محمود محمد دن جمعة

المقدمة:

شهد الصعيد الأدبي النيجيري في القرن الواحد والعشرينوجود أدباء ما هرين ومؤلفين متبحرين الذين حركوا السواكن وأنطقوا السواكت فذاع بذلك صيتهم في الحقل الأدبي والعلمي شرقا ومغربًا. ومن هؤلاء نجم يتلألأ في أفق سماء الأدب، زكريا حسين.ترصد المقالة حياة هذا الأديب منذ الولادة ورحلاته التعليمية والتعلمية، وإنجازاته الأدبية والدور الذي أدّاه إنتاجاته الأدبية في إصلاح المجتمع وأقوال النقاد حول هذه الانتاجات.

ولادته:

ولد زكريا إدريس أوبو – حسين في اليوم العشرين من شهر ديسمبر عام ألف وتسعمائة وخمسين الميلادي (١٩٥٠).[١] ولد في مدينة أوتشي بولاية أيدو، نيجيريا.[٢]

حياته العلمية:

تلقى زكريا حسين مبادئ العلوم الإسلامية والعربية من والده "مالم" إدريس أوبو–حسين وجدّته عائشة حسين رحمهما الله. ساقه حظ بنوّة العالم إلى أن سعد بتلقي العلوم الإسلامية والعربية الإبتدائيتين مباشرة من أبيه. تم التحق بالمدرسة الابتدائية الغربية في منطقة الوسط الغربي حيث نال الشهادة الابتدائية بتقدير ممتاز "Grade “A عام ١٩٦٣، ثم التحق بمدرسة أنصار الدين الإعدادية العصرية حيث حصل على الشهادة الإعدادية الغربية عام ١٩٦٦م، لم يحظ زكريا بالمواصلة لتكملة الدراسة الثانوية مع وقادة قريحته ومع كونه حاصلا على الامتياز الأوّل في فصله، وذلك لشدة رغبة أبيه في كونه عالما مشارًا إليه بالبنان معترفاله بالتبيان في اللغة العربية والدراسات الإسلامية. إلتحق بمعهد التعليم العربي الإسلامي الأدبي بمدينة أوو عام ١٩٦٧م، حيث نال هذا الشاب اليافع ثنائية الترقية في سنته الأولى ولم يزل حاصلا على الدرجة الممتازة الأولى في فصله الجديد حتى أكمل الدراسة الإعدادية الإسلامية والعربية عام ١٩٦٩. وظف زكريا وهو شاب يافع وعالم نافع في هذا المعهد فيما بين الشهرين يناير وأغسطس عام ١٩٧٠م.

التحق بجامعة إبادن للحصول على شهادة تدريب معلمي العربية والإسلامية فحصل على الدرجة الممتازة في هذا التدريب عام ١٩٧١م، التدريب الذي يؤهله للاتحاق بالجامعة ثم شارك في امتحان الشهادة

العامة الوسطى والعليا وحصل على الامتياز أيضا في كل منهما فصار بهذ الجهد الحائز مقبولا في الجامعة، حصل على البكالوريوس، في اللغة العربية والأدب في العام ١٩٧٧م، بتقدير ممتاز.

عين محاضرا مساعدا في جامعه بايرو، كنو، أثناء خدمته للوطن النيجيري خلال سبتمبر ١٩٧٧م ويوليو ١٩٧٨م، وبعد شهرين من تخلصه من الخدمة نال القبول التوظيفي كالمحاضر المساعد في العربية في قسم الأديان، جامعة إلورن. أعدّ للماجستير في اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة إبادن عام ١٩٧٩م، المكمّل في اليوم الثلاثين من سبتمبر ١٩٨٠م. التحق بنفس الجامعة معدّا للدكتوراه في العام ١٩٨١م، إرواءً لظمئه العلمي في اللغة العربية ونقد الأدب الإسلامي والأموي فأكمله في العام ١٩٨٤م، بعد قليل من وفاة أبيه مالم إدريس أوبو.[٤] ترقى على عرش بروفيسور في اليوم الأول من شهر أكتوبر ١٩٩٥.

زكريا حسين في ميدان الأدب:

بالنظر إلى هذا العنوان يتضح جليا أنه ليس له حدود بحمله جملة "ميدان الأدب" من غير التخصيص ولا التحديد لأن المترجم عنه لم يكن مقصورًا على الأدب العربي فحسب بل تطرق إلى غيره من الآداب الإنكليزية والشعبية النيجيرية لأن له في كل من هذه الآداب إنجازات ممتازة وسيعرضها الباحث حيث يترآء للقاري في الميدان الأدب العربي.

كان زكريا من رواد الأدب العربي في غرب إفريقيا وذلك لأن بعض إسهاماته لها أولية فعالة منها أنه نشر المسرحية العربية الأصلية الأولى عنوانها "العميد المبجّل عام ١٩٩٤م،الكتاب الذي تجددت وتعددت طبعته، إلا أن أمين الله أدمو الغمبري اعترض هذه الحقيقة دعوة بلا تبرير، ولم يزل الأديب المسرحي يجود بفكرته المسرحية فنشر مسرحيتين جديدتين عقب العميد المبجل وهما "التاجر وصاحب المطعم" عام ٢٠٠٠م و "الطبقة العليا" عام ٢٠٠٨م الوضع الذي أنهض واسترعى انتباهات الأدباء النيجيريين في الميدان المسرحي فأنتجوا أعمالاً ممتازة، قدم محاضرته الإنوغرالية (المحاضرة المفتوحة يلقيها كبار الأساتذة الجامعيين) العامة في جامعة إلورن في القصة والمسرحية في نيجيريا في اليوم الواحد والثلاثين من يناير عام ٢٠٠٢م استغرقت هذه المقالة ثلاثة وخمسين صفحة جذبت قلوب الأقاصي والأداني.

تبعًا للمسرحية، قد ألف هذا الأديب في القصة كتابا سماها "قصص خط الاستواء، مجموعة من القصص القصيرة الشعبية في قبائل إتسكو ولاية أيدو، وبعض قبائل نيجيريا.

ومن أهمّ أعماله الأدبية في إفريقيا الغربية خاصة والعالم العربي عامة كتابه "المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، تجددت طبعته وتعددت إلاّ أن طبعته الأولى كانت في العام ٢٠٠٠م.

أمّا تأليفه الآخر ولا الأخير فهو عن الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٢٠١١م طبع في ماليزيا ونال شهرة عالمية.(٤)

إنّ زكريا حسين لشخصية محلية ووطنية ودولية حيث إنه جمع بين الحضارتين السائدتين الشرقية والغربية وبهذا يصحّ القول في أنه شرّق وغرّب بأدبه، الوضع الذي جعله متفوّقًا على كثير من الأدباء العرب والعجم في العصر الحديث. ولقد اعترف به الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك حينما يذكر الذين جمعوا بين حذاقة الإنكليزية والعربية من المتخصصين في العربية وآدابها مع أنهم درسوا تحت ظل المستشرقين، يقول: ومن هذه الفئة : اللغوي الدكتور هارون الرشيد، والناقد الدكتور محمد الأول بن أبي بكر، في قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، والأديب الدكتور سمبو ولي جنيد رئيس قسم اللغة العربية جامعة صكتو، والأستاذ شاعر عيسى ألبي أبو بكر، المحاضر بالقسم، والأستاذ محمد بابا المحاضر بجامعة جوس، والبروفيسور أديريمي وزكريا في إلورن(٥)

بدأ قرض الشعر الإنكليزي منذ عام ١٩٧٣م، وله في ذلك ثلاثة دواوين طبع الأوّل "البرق في الظلام" (Sparks in the Darkness) عام ٢٠٠١م والثاني "بطانة الفضة" (Silver Lining) عام ٢٠٠٤م والثالث "نيجيريا في العام الخمسيني" في ٢٠١١م.

وله أيضا تأليف في أمثال ألفنما.(٥)

أقوال النقاد على بعض أعماله الأدبية:

للنقاد على أعماله الأدبية أقوال كثيرة ولكن الكثرة الكاثرة تدور حول مسرحيته الأولى "العميد المبجل"، وذلك لأنها احتلت مكان الصدارة على صعيد الأدب العربي النيجيري وأنها عالجت مشكلة الأمن التي تنشب على الشعب النيجيري، فاسمع ما قاله الدكتور عبد الرحمن بن أحمد الإمام عن العميد المبجل والتاجر وصاحب المطعم:

"لقد لعبت هذه المسرحية (العميد المجل) دور نشر الأمن في المجتمع، لأننا نرى العميد المبجل يتغطرس على الطلاب، وينشر الخوف وعدم الاستقرار في الحرم الجامعي ويخافه حتى زملاؤه في العمل، ولم يسترح منه أحد حتى جاءه خطاب من رجال الأمن باستبعاده من حرم الجامعة فاستراح منه الجميع".(٦)

واسمع أيضا قوله عن التاجروصاحب المطعم:

"ومسرحيته الثانية أيضا لايقل دورها في نشر الأمن والاستقرار في البلد وهي: التاجر وصاحب المطعم، فالشجار الذي وقع بين التاجر وصاحب المطعم، لولا رفع الأمر إلى القضاء وتوكيل المحامي القدير بالمرافعات القضائية لانتشر الخوف والفوضى والاضطراب في البلد بسبب الخلاف البسيط الذي يمكن أن يحل سلميا وقضائيا، فلو لطم صاحب المطعم التاجر، وردّ هذا بلطمتين ثم انتصر أنصار هؤلاء له وسيحضر التاجر عشيرته وينتشر الفوضى"(٧)

وكذالك الدكتور شيخ جوندو أيندى، هاك ما قاله عن العميد المبجل:

"هي مسرحية عالجت المشاكل الاجتماعية التي تعوق تطور المجتمع النيجيري خصوصا في الناحية التربويّة"(٨)

إلى أن قال:

"ومما أشارت إليه المسرحية واستقبحته وتصدرت لإصلاحه من الفساد، تشديد المحاضرين على الطلبة وإجبارهم على شراء المذكرات والارتشاء لنيل الالتحاق بالجامعات والعلاقة الشيطانية بين المحاضرين والطالبات وتشجيع المجتمع للسارقين وإهمال الحكومات لشعبها"(٩)

وممن علق على المسرحية عبد الغني أديبايو ألبي القائل: "تنطبق المسرحية على ما شاع في البيئة المدرسية من فساد على أيدي المحاضرين. حيث كانوا يجبرون الطلبة على شراء المذكرات ويجعلون شرائها أهم شرط في نجاح الطلاب في الامتحان"(١٠)

بهذا يصح إقرار فلسفة حياته التي هي: "عش ودعنا نعش" لأن جميع أعماله المسرحية تسعى وراء تحقيق الأمن والتعايش السلمي بين الفرد والمجتمع ويصح القول إن زكريا حسين كان ولم يزل من أصحاب الفن للمجتمع وتخلى تمامًا عن أصحاب الفن للفن الذين يملئون أعمالهم الأدبية بأنواع وألوان من الخيال والعاطفة من غير ربطه بالمجتمع أو جعله حلاً لمشكلة تواجه البلد أو الوطن.

وقد قالوا في قصته (قصص خط الاستواء) أقوالاً عدّة إلاّ أن الباحث يعرض هنا قول واحدٍ من هؤلاء النقاد، يقول عبد الغني أديبايو ألبي:

"ونجد أيضا كتاب قصص خط الاستواء للروفيسور زكريا حسين جمع فيه إحدى وعشرين قصة منها: الحجل والدجاجه والضب المادح نفسه، والقرد الفضولي والفيل والدجاجة ونائب المدير واللعانة وزوجها وهلم جرا.(١١)

أمّا كتابه "المأدبة لطلاب اللغة العربية في إفريقيا الغربية" فمن أهم ما سعدبه طلبة العربية لمساعدته إيّاهم في نجاح صاف عند جلوسهم للامتحانات العربية الثانوية التي يقيمها مجلس الامتحان الوطني ومجلس الامتحان في غرب إفريقيا، وذلك لأنه احتوى واستوعب المقررات الثانوية.

قال الدكتور مرتضى عبد السّلام الحقيقي حين يوازن بين الكتاب وكتاب: الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب إفريقيا لعبد الرحيم عيس الأوّل (١٩٩٩م):

"وأمّا الكتاب الأخير (المأدبة) فأوسع من الأوّل مادة، وأسهب بيانا، وأطول نفسا وأميز ابتكارًا[١٢]. وقال أيضا عن الكتاب عند المقارنة:

"ولكنه أقلّ منه دقة وعمقا في دراسة النصوص وتقريبها إلى القراء المتذوقين، ناهيك عمّا يتخلل العبارة من ابتذال نتيجة الأطراف المقصودة.[١٣]

فلكأنه نسي أوتناسى أنه قد قال في هذين الكاتبين:

"وهما مشدودا الجناحين بقيود المناهج المدرسية: المتبعة من قبل مجلس امتحان غرب أفريقيا والمجلس الوطني للامتحانات وكذلك مجلس الالتحاق والقبول بالجامعات، فهذا ممّا أدّى بهما إلى رسم طائفة معينة من القراء أمامهما في وضع هذين الكتابين مراعيين مستواهم العلمي وماينبغي أن يكون".[١٤]

فإن تعجب فعجب قوله "إنه أقل دقة وعمقا في دراسة النصوص" فالحق أحق أن يقال وهو أن طلبة الثانوية غير محتاجين إلى التعميق والتعمق في دراسة النصوص لأنهم مبتدؤون والذي يهمهم هو حفظها وشرح بعض الألفاظ الصعبة إن وجدت وترجمة صاحبها ومناسبتها كما أتبعه زكريا حسين في كتابه، أما الذي دعا إليه الحقيقي فدعوة بلا تبرير وليس من دأب المعلمين المدرّبين.

لقد أدلى زكريا حسين بدلوه في بحر الذين قسموا العصور الأدبية في نيجيريا إلا أنه أسما تقسيمه "تقسيم العصور الأدبية في غرب أفريقيا مع أنه في هذا التقسيم اعتمد كثيرًا على حالة اللغة العربية في نيجيريا بغص النظر عن أفريقيا عموما، وهو يعني بعصر الاستعمار، الاستعمار البرطاني للدولة النيجيرية وعصر الاستقلال، الاستقلال النيجيري وعصر الازدهار عصر ازدهار اللغة وأدبها عل الصعيد النيجيري. فما بال الأفريقية الغربية؟، وليس نيجيريا أوّل قطر إفريقي دخلتها العربية وأدبها، ولقد أحسن في زيادة مالم يزده الناقدين الإلوري وغلادنثي في تقسيمهما وذلك إطلاقه عصر الازدهار على أدبنا المعاصر، وفي الحقيقة قد ارذهر الأدب النيجيري فجزاه الله خيرًا.

شاعريته:

ذهب كثير من الباحثين إلى أنّ زكريا حسين ليس شاعرا ولايوجد له ديوان ولاقصيدة قالها في مناسبة بل هو ناثر فنيّ، ولكن الأمر خلاف ما ظنوه واعتقدوه لأنّ أعماله الفنية التي عثر عليها الباحث لايخلو من القطعات الشعرية أصالة من ابتكاره لامنقولة من غيره فهو بذلك شاعر وناثر إلا أنه إلى النثر أميل. وإذا كان إبراهيم بن سعيد الغمبري ومحمد الجامع الفلاني ويحي عمر التنكوي كتبوا وألفوا في المسرحية الشعرية فإن زكريا قد جمع بين النثر والشعر في المسرحية والقصة.

نموذج من شعره في المسرحية:

الطلبة الأخرون:

فضيلة العميد عميدنا لطيف

سعادة العميد عميدنا ظريف

نضارة العميد عميدنا طريف

كرامة العميد عميدنا نظيف

مكانة العميد عميدنا شريف

أيا عميد أهلا أيا عميد سهلا

عميدنا ودود عميدنا مجيد[١٥]

شاكرة (أخفضت صوتها وأنشدت):

عميدنا غني محب للشقاوة

عميدنا ثري ثري بالغباوة

عميدنا جدير جدير بالعداوة

عميدنا مجيد مجيد في القساوة

عميدنا جليل جليل في الشقاوة

عميدنا سفيه محب للعداوة[١٦]

وهاك نموذجًا من شعره في القصة:

أيّتها الدجاجة أيتها القرينة

وبلك انتظريني ويلك يا دنيئة

آيتها الشجيرة الريمة الوريقة

هافا مسكي الدجادة هافا مسكي اللعينة

وفوقك تطير الدجاجة السمينة
إلى البلد الأمين تنال ذي الثمينة
أيتها الشجيرة هافا مسكى اللعينة[١٧]

وإن كان مثل هذ الشعر خارجًا من أوزان الخليل المألوفة فهو بذلك لايزال شعرًا عند المحدثين الذين ولّدوا أوزانا جديدة أو عند أصحاب الشعر الحر في العصر الحديث.

الخاتمة:

خلال هذه الرحلة الأكاديمية، استطاع الباحث أن يبرز شخصية هذا الأديب المسرحية والقصصية وشاعريته العربية والإنكليزية نصيحة للذين مالوا إلى الإنكليزية كل الميل وذروا العربية كالمعلقة فكانوا في الإنكليزية أقوى وفي تخصصهم أضعف ما يرى وكذلك قد أقرّ الباحث إنتماء هذا الأديب بأصحاب الفن للمحتمع، والردّ على الذي وصفه بالإسهاب والابتذال في التعبير ومخاطبة المبتدئين، وبيّن الباحث اتجاهاته في تقسيم العصور الأدبية في نيجيريا وغرب إفريقيا فهو بهذه المجهودات محلّي الصنع وعالمي النفع.

الهوامش والمراجع:

١– www/Wikipedia.org, 13/03/2014

٢– المرجع نفسه

٣– المرجع نفسه

٤– المرجع نفسه

٥– أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، "نشر الكتب مشكلاته وحلوله في مرحلة التعليم العالي بنيجيريا"، ورقة مقدمة في مؤتمر التعليم العالي بجامعة بايرو، كنو، ١٩٨٧م، ص ٢٣ .

٦_ www/Wikipedia.org, 13/03/2014

٧– عبد الرحمن بن أحمد الإمام (الدكتور)، "**المسرحية العربية ودورها في توطيد الأمن في نيجيريا**"، ٢٠١٣ ص ١٢.

٨_ عبد الرحمن بن أحمد الإمام (الدكتور) المرجع نفسه ص ١٣ – ١٢.

٩_ شيخ جوندو أيندى (الدكتور)، "المسرحية النيجيرية العربية ومحاربة الفساد الاجتماعي: دراسة نموذجية لمسرحية "العميد المبجل"، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا خلال خمسين عاما من الاستقلال**، ص ١٠٣.

١٠– المرجع نفسه، ص ١٠٣ ص ١٠٣.

١١- عبد الغني أديبايوألبي، **القصة والمسرحية: تاريخ وأصول لطلاب الدراسات العربية في نيجيريا**، مطبعة وعس ١٦ شارع سوق بطاطس جوس ولاية بلاتو، نيجيريا، ص ١٣٠

١٢- المرجع نفسه، ص ١٢١

١٣- مرتضى عبد السلام الحقيق، "صور من الرؤية النقدية في الأدب العربي النيجيري المعاصر"، **مجلة اللسان**، تصدر عن جمعية مدرسى اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (نتال) المجلد الثاني العدد الخامس ٢٠١٢م، ص ١٠١

١٤- المرجع نفسه، ص ١٠١

١٥- المرجع نفسه، ص ١٠

١٦- زكريا إدريس – أو بوحسين، **العميد (مسرحيه عربية)**، دار النور أو تشي، نيجيريا، ط ١ ص، ٢٠٠٨، ص ١٢.

١٧- المرجع نفسه، ص ١٣